الخاتمة

تخيل الشرق الأوسط، ١٩١٨ - ١٩٦٧:

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وحتى سنوات الستينيات الأخيرة، كان ثمة شبكة ناشئة غير رسمية من المتخصصين - عبر / دولية في مداها - تضم أفرادا من المجال الأكاديمي، وعالم الأعمال، والحكومة والإعلام مسئولة عن تفسير الشرق الأوسط للجماهير الأمريكية. في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، كانت الشبكة تضم ورثة البعثات التبشيرية، ورجال البر، والتربويين في القرن التاسع عشر والمتخصصين في الشرق الأدنى القديم، ومجموعة بازغة من المفكرين السياسيين.

obeikandi.com

جمع أعضاء تلك الشبكة الوليدة بين نهج استشراقى فى جوهره لفهم المنطقة، وبين إدراك ناشئ متطور للولايات المتحدة كقوة عظمى لها مصالح كوكبية، وبخاصة مصالحها فى موقع الشرق الأوسط الجغرافى وموارده. غدا غياب الخبرة فى الشرق الأوسط المعاصر جليًا أثناء الحرب العالمية الثانية والسنوات الأولى للحرب الباردة، ومن ثم، ولّد هذا جهودا لإنشاء برامج ومراكز جديدة لتدريب المتخصصين المهنيين في الشرق الأوسط المعاصر بهدف محدّد، وهو إنتاج المعرفة لصالح الدولة [الأمريكية]. حققت تلك الشبكة تأثيرها الأعظم بداية من نهاية الخمسينيات وحتى أواسط الستينيات فيما قام صناع السياسة بتفعيل نظريات التحديث القائمة على أساس العلوم الاجتماعية فى محاولة منهم لتغيير وجه المنطقة.

تخيل المشاركون فى هذه الشبكة الشرق الأوسط فى الماضى، والحاضر، وما سيكون عليه فى المستقبل بتركيزهم على أربع تيمات [مفتاح] رئيسية. اتجه

المتخصصون أولا للإسلام وما اعتقدوا أنه طبيعته السياسية والشمولية المتأصلة بصفته المَعْلَم الأول الأكثر وضوحا للاختلاف بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط . اعتبروا الإسلام الشمولى فى جوهره قوة هيمنت على الحياة اليومية فى المنطقة وبرّرت أو فسرت الوجود الثابت الذى لا يتغير لما تخيلوه وأنه بُنَى اقتصادية وسياسية واجتماعية متخلفة راكدة. من ثم، نظروا إلى الإسلام على أنه سبب لمأزق هوية ساحق يكتنف غالبية الشرق الأوسط الذى كان على مشارف زمن ما بعد الحرب. وبصفته هذه، شكّل الإسلام أيضا، فى أذهان أعضاء الشبكة، قوة لها تضمينات سياسية كبرى فى أنحاء المنطقة، وعلى مستوى الكوكب أيضا، فيما كانوا يتمعنون فى مشكلة ما إن كان للمسلمين دور حاسم فى نتيجة صراع الحرب الباردة. وبمرور الوقت، غدا المشاركون فى الشبكة ينظرون إلى الإسلام على أنه فى حالة تراجع من حيث أهميته لتحل محله القومية العلمانية كقوة مهيمنة فى الشرق

الأوسط. وعلى الرغم من ذلك، مضوا يعجبون ما إن كان من المحتمل للإسلام الحفاظ على أهداف الحركات القومية وقادتها ودعمها، ومن ثم، ما إن كان سيظل عاملا مهما في العلاقات بين الشرق الأوسط والولايات المتحدة في المستقبل المنظور.

وهكذا، فقد كانت تأويلاتهم للإسلام فى تلك الفترة مرتبطة عن كثب بالهواجس المتنامية من الحركات القومية الإقليمية وروابطها بالسياسات الجماهيرية والتى كانت التيمة الثانية التى من خلالها تخيل أعضاء الشبكة الشرق الأوسط. فى البداية، طور المتخصصون تأويلَيْن للقومية شرق الأوسطية، صور أحدهما القومية على أنها نتاج للحركات الفكرية المعادية للاستعمار التى تشكلت فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين والتى استمدت إلهامها من المبادرات التعليمية لإرساليات الولايات المتحدة التبشيرية ورجال البر الأمريكيين. ركز التفسير الثانى على الشخصيات الكاريزمية من أمثال مصطفى كمال أتاتورك، وعبدالعزيز بن سعود، ورضا خان كنقاط مركزية انطلقت منها قوة حميدة بعامة وفرت وسيلة أخرى للتغلب على أزمة هوية ساحقة كان المسلمون يعانون منها وقصد بها تمثيل رغبات شعوب المنطقة فى الاستقلال السياسى. بيد أن تلك النظرة واجهت تحديات طوال سنوات الخمسينيات من خلال إجراءات محمد مصدق فى إيران وجمال عبدالناصر فى مصر ومواقفهما وردود أفعال صناع السياسة الأمريكية على هذين القائدين، مما أقنع أعضاء الشبكة أن الحركات القومية المتشددة بتزايد لم تكن حميدة بالدرجة التى اعتقدوها فى البداية. من ثم، ومنذ نهاية الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات طور أعضاء الشبكة تفسيرات للحركات القومية شرق الأوسطية غير قاطعة تحمل ظلالا من الفروق والمعانى أكدت على هواجس مشتركة بينهم وبين الولايات المتحدة فيما حاولوا التقليل من أهمية القضايا الأكثر خلافية مثل الصراع العربى الإسرائيلى. بيد أن المتخصصين ظلوا مترددين ومشوشين، فى أفضل

الأحوال، حول العلاقة الوثيقة التى اعتقدوا أنها مازالت موجودة بين الحركات القومية والسياسات الجماهيرية الشعبوية فى المنطقة.

ظهر الاهتمام حول كيفية تشجيع التحول المتحكم به، التحول الذى اعتقد أعضاء الشبكة أنه استمد إلهامه من المأزق الروحانى والحركات القومية المتصاعدة، والضغوط المتنامية من أجل وجود بُنى اقتصادية وسياسية واجتماعية أكثر تمثيلا، ظهر هذا الاهتمام كتيمة ثالثة تخيل المتخصصون من خلالها الشرق الأوسط. ومع اتباع حكومة الولايات المتحدة سياسة تنموية ليبرالية فى فترة ما بين الحربين وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة، لعب القطاع الخاص وتحديدا الشركات النفطية مثل أرامكو الدور المهيمن فى تطبيق تلك الأجندة. بيد أنه، وفى أواخر الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، كان ثمة إجماع بين المتخصصين وصناع السياسة الأمريكيين معا، أن الحكومة وحدها كانت هى المؤهلة للاضطلاع بمثل هذا المجهود الكبير المنسَّق. ومنذ نهاية الخمسينيات وحتى أواسط الستينيات انتهز علماء الاجتماع الأكاديميون الفرصة لتطوير نهج جامع بإمكانه إرشاد العملية، وروّجوا لنظرية التحديث كأفضل وسيلة بإمكانها أن تجعل القادة من أمثال ناصر وشاه إيران يركزون على التنمية الداخلية وذلك من أجل التحكم فى أجندتهم الإقليمية. بيد أن نظرية التحديث فشلت وذلك لأنها افترضت مسبقا إمكانية التطبيق الشمولى لنموذج أوحد من التحول، ومن ثم أثبتت عجزها على التعاطى مع العوامل المتنوعة بما فى ذلك السياسات الإقليمية، والعلاقات بين القادة الأفراد، والفجوة بين احتياجات صناع السياسة قصيرة المدى وتوقعات أعضاء الشبكة طويلة المدى.

وُظّف الصراع العربى/ الإسرائيلى كتيمة رابعة تخيل من خلالها المشاركون فى الشبكة الشرق الأوسط، رغم أنه كان أيضا هو المجال الذى خضعت فيه مصداقيتهم وخبرتهم لأعظم التحديات من جانب صناع السياسة وجماعات مصالح متنوعة نافذة، وأفراد مؤثرين. فى الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، عمل نشطاء صهاينة متنوعون من خارج الشبكة جاهدين كى

يجعلوا صناع السياسة والأطراف المهتمة الأخرى يتخيلون فلسطين يهودية من خلال التركيز على روابط تاريخية بين اليهود والأرض المقدسة، ومعها الرغبات القائمة منذ زمن طويل لتغيير وجه المنطقة. وفيما بدأ المتخصصون يكرسون المزيد من الوقت للقضية أثناء الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها مباشرة، قاوم كثير من قدامى المبشرين والمستشرقين والمتخصصين الحكوميين إنشاء دولة يهودية فى فلسطين على أساس أنها ستهدد مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والتعليمية والتبشيرية والخيرية فى أنحاء المنطقة. بيد أنه، وبمجرد قيام الدولة اليهودية فى فلسطين وأصبح من الواضح أن المستويات العليا من صناع السياسة الأمريكية وقطاعات نافذة من الجماهير المحلية كانت تدعم قيام علاقة وثيقة بين إسرائيل والولايات المتحدة، مضى أعضاء الشبكة غير الرسمية يعملون داخل إطار قيود تلك العلاقة من أجل تطوير نهج اعتقدوا أنه قد يقلل إلى الحد الأدنى الأضرار التى ستلحق بمصالح الولايات المتحدة فى المنطقة. من ثم، بدا وطوال الخمسينيات ومطلع الستينيات الحفاظ على الأمر الواقع مع تقديم مبادرات تدريجية لتقرير بعض أوجه المشكلة وأنه أفضل حل. بذل المراقبون جهدهم للتعاطى مع الصراع وتقبله فيما كان يتصاعد فى أواسط الستينيات. عمل احتلال إسرائيل لغزة والضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء والقدس الشرقية وهضبة الجولان أثناء حرب ١٩٦٧، ومعه صعود حركة مقاومة فلسطينية قابلة للحياة على خلق عدد كبير من القضايا التى كان على المتخصصين الصراع معها فى نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات.

وعلى حين أن تفكير المتخصصين حول الشرق الأوسط كان ينزع للتحلّق حول تلك التيمات الأربع والإحاطة بها، إلا أنهم لم يدرسوها بمعزل عن ظواهر وقوى أخرى. مثلا، لم تتأثر الكيفية التى فسر بها أعضاء الشبكة الإسلام فقط بما كانوا يعرفونه أو لا يعرفونه عن الدين نفسه، بل أيضا بالكيفية التى فهموه بها فى علاقته مع قوى وقضايا أخرى، مثل الحركات القومية، وسياسات الحرب الباردة، والضغوط الداخلية من أجل التحول الاجتماعى، وتأثيرات الصراع مع إسرائيل،

وكذلك كان الأمر في حالة القضايا الأخرى أيضا. كان ما نتج هو خلق إطار للمعنى فهم من خلاله صناع السياسة والمهتمون الأمريكيون الآخرون الشرق الأوسط. قام ذلك الإطار وهذا الفهم على أساس عدة فرضيات أساسية تشمل الاعتقاد بأن ما يتسم به غالبية شعوب الشرق الأوسط والدين الذى يمارسونه لا يقتصر فقط على كونهم متخلفين، بل وأيضا معادين جوهريا للحداثة. كما اعتقدوا أيضا أن المنطقة كانت معرضة لخطر من قد يقومون بتضليل شعوبها من داخل الشرق الأوسط ومن خارجه أيضا. من ثم كانوا على قناعة بأن الولايات المتحدة هى من تملك وحدها إمكانية القيام بنقل المنطقة إلى الحداثة. كانت تلك الافتراضات تعنى أن التفسيرات التى طرحها أعضاء الشبكة غير الرسمية كانت انعكاسا لنزعات زمانهم وتحيزاته بما فى ذلك الإيمان الواضح باستثنائية الولايات المتحدة، وعدم الاستعداد للتعاطى مع المسلمين أو العرب على قدم المساواة مع المسيحيين أو سكان غرب أوربا أو الأمريكيين، وإعطاء الأولوية أحيانا لمخاوف الحرب الباردة. أيضا كثيرا ما كانت تلك التفسيرات والتأويلات يشوبها عدم الدقة وسوء الفهم، كما دلّ على ذلك، بين أشياء أخرى، هواجس أفراد الشبكة فى مطلع الخمسينيات من مفتى القدس، والدعوة إلى تطبيق نظرية التحديث فى الستينيات. ومن ثم، فعلى حين أنه لا يجوز لنا النظر إلى المعرفة التى أنتجتها الشبكة غير الرسمية منطلقات ماهوية مطلقة، علينا أن ندرك أنها كانت، إلى حد كبير، نتاج زمانها ومكانها.

حينما أذهب إلى أن المتخصصين من أعضاء الشبكة غير الرسمية طوروا إطارا للمعنى تخيلوا من خلاله الشرق الأوسط، فإننى لا أوحى بأن أعضاء الشبكة جميعهم كانوا مُتّفقين على جميع النقاط، أو أن ذلك الإطار كان دائما يتميز بالاتساق الفكرى، أو أنه كان خاليا من التناقضات، أو أن الإطار ككل أدى إلى اقتراح وصفات سياسية واضحة. فمن الواضح أن أيا من هذا لم يكن صحيحا. فكما رأينا، ذهب هارولد هوسكينز إلى أن الأفكار السائدة التى ترى أن الإسلام كان فى طريقه للتراجع وأن حركات القومية العلمانية كانت فى سبيلها لأن تحل

محله هى أفكار غير صحيحة. ورأينا أيضا جدالات سياسية فى نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات حول سياسة الولايات المتحدة لاحتواء ناصر ومدى التنازلات التى قد تقدمها فى التعاطى معه، هذا على الرغم من أن العديدين ممن شاركوا فى تلك الجدالات كانوا يتشاركون إلى حد كبير فى آراء متماثلة عن ناصر. وفى نفس الهواجس حول طبيعة السياسات الجماهيرية الشعبوية فى المنطقة. أدت مثل تلك الجدالات التأويلية إلى تشعّب التقييمات للمنطقة وما يجرى فيها، وأيضا تشعب الوصفات السياسية المُقترح اتباعها.

من ثم، فمن الأفضل لنا أن نفكر فى الشبكة وفى إطار المعنى ذاك على أنها مُحدِّدات لكفافات النقاش وإرساء لحدود الفهم. ساعد أعضاء الشبكة غير الرسمية من خلال تحديدهم التيمات المفتاح، والسطور الافتتاحية للجدل، وبيان تفاصيل التفسيرات الأساسية، ساعدوا على وضع القواعد والمنظورات الأساسية التى من خلالها فَهِم صناع السياسة والمواطنون المهتمون الشرق الأوسط وتفاعلوا معه». شملت هذه المنظورات ترددا أو عدم يقين ظل قائما لمدى طويل حول طبيعة السياسات الجماهيرية الشعبوية بالمنطقة. لدى نقاشهم للدين فى أواخر الأربعينيات ومطلع الخمسينيات عبر المحللون عن هواجسهم حول الإسلام الشمولى، والجاذبية التى يتمتع بها زعماء من أمثال مفتى القدس لدى جماهير المسلمين فى أنحاء المنطقة. وبعد مجرد بضع سنوات، أتى المحللون بمقولات مماثلة يعبرون بها عن هواجسهم إزاء ناصر والاستجابات الشعبية الهائلة لمبادئ القومية العلمانية التى كان يتبناها بين الجماهير فى مصر وفى العالم العربى ككل. وبالمثل، أدت تفحصات الأوضاع الاجتماعية/ الاقتصادية إلى تكهنات حول ما إن كانت طبقات الفلاحين ستستمر فى تقبل أقدارها أم أنها ستنتفض، وبخاصة فى الدول التى يحكمها ملوك محافظون. كما ذهب المحللون إلى أن الصراع العربى/ الإسرائيلى كان يوفر قضية يتمحور حولها غضب شعوب المنطقة وآمالهم ومخاوفهم، ومن ثم، يصبح بالإمكان فعليا حشد الجماهير وحفزهم للقيام بعمليات [مقاومة].

ارتبط بتلك الهواجس من السياسات الجماهيرية في الشرق الأوسط، عن كثب النزوع إلى إلقاء الأضواء على أفراد بعينهم بصفتهم يجسدون مصدر قلق المتخصصين وصناع السياسة مما يحدث أو قد يحدث بالشرق الأوسط واهتمامهم. في الجانب السلبي، يمكننا هنا أن نستدعي مرة أخرى مفتي القدس وجمال عبدالناصر ومحمد مصدق. أما في الجانب الإيجابي، فقد اعتبر أعضاء الشبكة بعض زعماء الشرق الأوسط مثل مصطفى كمال أتاتورك – في تركيا في فترة ما بين الحربين – اعتبروهم نماذج يمكن لزعماء المنطقة الآخرين الاحتذاء بهم. وفي الحالتين، كان ينظر لهؤلاء الأفراد على أنهم يمتلكون القدرة على تحوّل المنطقة إما بما يفيد مصالح الولايات المتحدة ورغباتها، أو العكس، ومن ثم، استوجب الأمر إخضاعهم للمراقبة ، عن كثب.

وأخيرا، وربما الأكثر إلحاحا، كان سعي أمريكا والذي ظل قائما منذ وقت طويل لإنجاز ما اعتبرته مهمتها المقدسة والدنيوية في الشرق الأوسط. اقتضت المهمة المقدسة والدنيوية أن تبذل «أورشليم الجديدة» [الولايات المتحدة] الجهد من أجل خلاص ما زُعم أنه «أورشليم القديمة» المتخلفة والمُدنّسة، وكان للإيمان بتلك المهمة جذوره في تأسيس الولايات المتحدة ذاتها. وبمرور الوقت اكتسبت محاولات تغيير وجه الشرق الأوسط طبيعة دنيوية بتزايد. بدأت تلك المحاولات بجهود تبشيرية وخيرية في القرن التاسع عشر، ثم انتقلت إلى تشجيع بعض الحركات القومية العلمانية في عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته، وأصبحت مسئولية العمل على إنجاز تلك المهمة المقدسة والدنيوية في الثلاثينيات والأربعينيات من نصيب شركات النفط الخاصة التي كانت تتبع سياسة تنموية ليبرالية. وفيما بعد، وابتداء من أواخر الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات، أخذت حكومة الولايات المتحدة نفسها زمام الأمور بيديها، ومضت تدعو إلى التحول المتحكم به من خلال تطبيق نظرية التحديث وتشجيعه.

وطوال الوقت، اعتمدت محاولات إنجاز المهمة المقدسة والدنيوية على إنتاج

معرفة مقدسة ودنيوية عن شرق أوسط متخيل فى الماضى والحاضر والمستقبل. ركز النهج الاستشراقى الذى كان سائدا طوال سنوات الحرب العالمية الثانية، على الأقل، على دور الدين فى مجتمعات الشرق الأوسط وسياساته وثقافته. أتى إضفاء الصبغة المهنية والمؤسسة على دراسات الشرق الأوسط، تلك العملية التى بدأت فى الأربعينيات، أتى معه بمزيد من الاستناد إلى أشكال جديدة من المعرفة العلمانية، والتى زُعِم أنها عملية وموضوعية، حيث استخدمت لتبرير تدخل الولايات المتحدة بالمنطقة وسياساتها تجاهها، وبخاصة فى نهاية الخمسينيات وفى الستينيات، والتى اتخذت شكل نظرية التحديث. وهكذا، كانت الكيفية التى تخيل بها المتخصصون الشرق الأوسط نتيجة لإدماج إنتاج المعرفة المقدسة والعلمانية معا فى محاولات إنجاز المهمة المقدسة والدنيوية بالمنطقة.

إعادة تخيل الشرق الأوسط بعد عام ١٩٦٧:

كانت أحداث نهاية الستينيات وما أتت به من تبعات داخلية وخارجية علامة على نقطة تحول رئيسية، حيث أدت بأعضاء الشبكة غير الرسمية من المتخصصين وغيرهم من المراقبين إلى إعادة تقييم الكيفية التى تخيلوا بها الشرق الأوسط، رغم أن هذا لم يحدث دائما بأساليب صريحة أو واعية. مما لا ريب فيه أن المتخصصين استمروا يستندون بكثافة إلى أساليب التفكير القائمة عن المنطقة، بيد أن كل قضية كانوا قد ألقوا الضوء عليها طوال نصف القرن السابق بدت لهم آنذاك فى حالة من السيولة وعدم الثبات. أدت عملية إعادة تخيل الشرق الأوسط فى نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات إلى تغييرات مهمة فى الشبكة غير الرسمية ذاتها وفى طبيعة مرجعية شئون الشرق الأوسط والخبرة بها. شهد العقد التالى لعام ١٩٦٧، فى المجالين الحكومى والأكاديمى، تصدعاً فى الشبكة غير الرسمية من المتخصصين فى الشرق الأوسط والتى كانت قد تطورت منذ عام ١٩١٨. من ثم، يمكن أن تكون نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات نقطة نهاية مناسبة لهذه الدراسة.

أدت حرب عام ١٩٦٧ ومعها عدد كبير من الأحداث والقضايا الدولية بصناع

السياسة الأمريكيين والمتخصصين فى شئون الإقليم إلى إعادة تقييم مصالح الولايات المتحدة الأمنية بالمنطقة طوال سنوات منتصف السبعينيات. تزامن حدوث انكماش اقتصادى بالولايات المتحدة، تسببت فيه جزئيا الإنفاقات الهائلة من أجل تمويل حرب فيتنام فى الخارج، وإقامة «المجتمع العظيم» [مجتمع الوفرة] بالداخل، إضافة إلى التنافس المتصاعد من جانب أوربا الغربية وآسيا، تزامن مع صعود منظمة أوبك. كان أعضاء أوبك العرب قد برهنوا على أهمية نفط الشرق الأوسط الحاسمة من أجل الحفاظ على اقتصاد الولايات المتحدة وثقافة الاستهلاك هناك حينما طبقوا مقاطعة لمبيعات النفط للولايات المتحدة أثناء حرب ١٩٧٣ بين مصر وسوريا وإسرائيل، وبعدها. وفى تلك الأثناء، وفيما كانت الولايات المتحدة فى المراحل النهائية للانسحاب من أوحال ورطة فيتنام، كان الاتحاد السوفييتى قد وصل إلى مرحلة شبه تكافؤ نووى مع الولايات المتحدة. عملت تلك الأحداث فى مجموعها على أن يدرك المتخصصون وصناع السياسة والجماهير الأمريكية بعامة مدى هشاشة أمن الولايات المتحدة بالخارج وأساليب المعيشة بالداخل. من ثم، أظهر صناع السياسة، وبأكثر من أى وقت مضى، استعدادا للدخول فى ترتيبات أمن ثنائية مع القوى الإقليمية بالشرق الأوسط لحماية مصالح الولايات المتحدة. عبر الرئيس نيكسون رسميا عن هذه السياسة، واتبعها كل من الرئيس فورد وكارتر. كانت السياسة الجديدة تلك تعنى بالنسبة للشرق الأوسط، تسليح «أعمدة» إقليمية ثلاث: إيران وإسرائيل والسعودية - وظلت هذه السياسة قائمة حتى اندلاع الثورة الإيرانية فى عام ١٩٧٩، على الأقل.

أعادت الثورة الإيرانية المخاوف من الإسلام إلى الواجهة، والذى كان معظم المتخصصين الحكوميين وغير الحكوميين قد تجاهلوه إلى حد كبير منذ مطلع الستينيات، باستثناء التفكير حول الكيفية التى زُعِم بها أن الدين يعيق التحديث فى الشرق الأوسط. وفى واقع الأمر، فلم يكن الإسلام فاعلا كقوة سياسية بالدرجة التى أثارت قلق المراقبين فى الأربعينيات والخمسينيات، كما أنه لم يكن غير مؤثر

بالدرجة التى اعتقدوها فى ذروة الحركات القومية العلمانية بداية من نهاية الخمسينيات وحتى أواسط الستينيات. وحقيقة، فإنه، وبمنتصف الستينيات كانت المجموعات من أمثال الإخوان المسلمين بمصر قد بدأت تنقسم بين هؤلاء الذين كانوا يريدون إحداث التغيير بالعمل فى إطار النظم السياسية القائمة وبين أولئك الذين كانوا ينزعون لاستخدام الدين لتبرير مسعاهم لتحقيق أهدافهم من خلال الأساليب العنيفة والعمل خارج أطر الأنظمة السياسية الموجودة. يشير غياب أى تعليقات موسعة على تلك الأوضاع وقتئذ إلى أن غالبية المتخصصين داخل الحكومة وخارجها كانوا إما على غير دراية بهذه الأحداث إلى حد كبير، أو أنهم وجدوها عديمة الأهمية فى وقتها.

وإن كان غالبية المتخصصين قد اعتقدوا أن الدين كان قد غدا أقل أهمية كقوة سياسية فى الشرق الأوسط فى الستينيات، فإنهم قد اعتقدوا أيضا أن الهزيمة المهينة التى تلقتها مصر والأردن وسوريا على يد الإسرائيليين عام ١٩٦٧ كانت ضربة موهنة لقوى القومية العربية العلمانية. كان صناع السياسة والمتخصصون معا قد ظلوا يركزون بكثافة - على تلك القضية [القومية العربية] منذ منتصف الستينيات، وبدا وأن بعض المراقبين كان يغمرهم الحس بالبهجة والشماتة وهم يشاهدون الزعماء العرب يحاولون التعاطى مع مغبات ١٩٦٧. فى اجتماع عُقِد يوم ٢٩ فبراير ١٩٦٨ مع هارولد إيتش. سوندرز من مجلس الأمن القومى، ذكر چون بادو، المبشر والمعلم وسفير الولايات المتحدة السابق بمصر، أن الحركات القومية كانت فى حالة اضمحلال وأن على الولايات المتحدة «ألا تبدى اهتماما كبيرا بالشرق الأوسط بأسلوب ما»، وزعم بادو أنه قد «أكد عمداً» على هذه النقطة لدى لقائه ببعض الزعماء والنخب العربية، وأثناء رحلة له بالمنطقة فى ديسمبر ١٩٦٧. وفى اليوم التالى، اجتمع سوندرز لساعات ثلاث مع مورو برجر أستاذ الاجتماع بجامعة برينستون، والذى، ووفقا لسِجلّات سوندرز، كان له تعليق مماثل، حينما قال سوندرز إنها «مسألة وقت» قبل أن يرحل ناصر، أيد برجر اعتقاده بأن

المتخصصين وصناع السياسة معا «سيعجبون كيف تمكن عبدالناصر من البقاء كل تلك الفترة». وأخيرا، حينما اجتمع وزراء خارجية الجامعة العربية فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٦٨، استخدم مدير مكتب الاستخبارات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية مجاز لعبة البيسبول [كرة القاعدة] ليوجز الاجتماع ويسخر من القادة العرب لعجزهم الواضح، حيث وصف توماس هيوز الاجتماع بأنه «جولة أخرى بدون إحراز أهداف» بالنسبة للعرب، بـ «ضربتين، ومشية واحدة، ورجل واحد تُرِك لدى القاعدة».

وعلى حين أشارت نهاية الستينيات بالنسبة للمتخصصين إلى زوال الإسلام والحركات القومية كقوى سياسة مهيمنة فى الشرق الأوسط، وإلى بزوغ مدرك أمريكى استراتيجى جديد عن المنطقة، فقد غدا مراقبون كثيرون ينظرون إلى ما بعد ١٩٦٧ بصفتها تجسيدا لفشل الولايات المتحدة فى إنجاز مهمتها المقدسة والدنيوية بتغيير وجه المنطقة بنهاية الستينيات. أدت عدم قدرة الولايات المتحدة على العثور على أية وسائل مُرضية لتشجيع عملية تحديث متحكم بها وتفعيلها فى أنحاء الشرق الأوسط إلى قدر كبير من الإحباط مثلما تجسد فى الورقة البحثية لمكتب الاستخبارات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية بعنوان «جذور مقاومة العرب للتحديث». من ثم، بذل غالبية المتخصصين جهودا كبيرة فى العمل على مقترحات قد يمكن من خلالها، فى وقت ما، للولايات المتحدة إنجاز مهامها المقدسة والدنيوية الثابتة بالشرق الأوسط، هذا على الرغم من أن بعضهم راوده الأمل فى أن تستخدم الدول المنتجة للنفط أرباحها الهائلة من النفط فى جهود لإحداث تحول اجتماعى/ اقتصادى.

أدت أحداث نهاية الستينيات إلى تغيير ديناميات الصراع العربى/ الإسرائيلى/ الفلسطينى، وأجبر احتلال إسرائيل لقطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان وشبه جزيرة سيناء المتخصصين على دراسة قائمة من الأسئلة جديدة تماما. وفى نفس الوقت، كان صعود حركات المقاومة القابلة للحياة فى

أوساط الفلسطينيين – والتي زادها الاحتلال الإسرائيلي زخما – كان يعني أنه لم يعد بالإمكان تجاهل الأصوات الفلسطينية كما كان الحال طوال معظم العقدين السابقين. اقتضت كل تلك الحقائق مجتمعة من المتخصصين أن يعيدوا تخيل الصراع العربي/ الإسرائيلي/ الفلسطيني باتباع أساليب جديدة جوهريا.

وفيما تسببت ديناميات نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات في أن يعيد أعضاء الشبكة تخيلهم للشرق الأوسط، فربما يمكن القول إن إعادة التخيل الأكبر كانت هي تلك المتعلقة بالطبيعة الأساسية للمرجعية والخبرة ذاتها، وأيضا، المتعلقة بأي أهداف يجب أن تُستخدم تلك المرجعية والخبرة. تصدعت الشبكة وانقسمت حول المدركات المختلفة للعلاقة بين المعرفة والسلطة والتي طفت على السطح في أعقاب ١٩٦٧. ربما كان المتخصصون على وعي، قبل عام ١٩٦٧ ببعض التوترات المتأصلة في مثل تلك العلاقة، وربما أيضا أنهم لم يتوافقوا على تفسيرات لقضايا محددة، لكنهم جميعا كانوا يسعون لتحقيق هدف مشترك وهو إنتاج معرفة بالإمكان استخدامها لفائدة الدولة. بعد عام ١٩٦٧، تنكر الجيل الجديد من المتخصصين لذلك الهدف واشتبكوا في معارك داخلية حول من بإمكانه أن يزعم لنفسه الشرعية كخبير في تلك القضايا، وأيضا حول أسباب وجود مجال دراسات الشرق الأوسط ذاته. كان بالإمكان ملاحظة تلك التوترات في مجال الشبكة الأكاديمية والمجال الحكومي معاً.

في الجانب الحكومي، ظهرت الانقسامات بين هؤلاء الذين تقبلوا حقيقة أن الولايات المتحدة قد ربطت مقاديرها في الشرق الأوسط، بشكل أساسي، بإسرائيل، وهؤلاء الذين عارضوا سياسة الولايات المتحدة ووجدوا أنفسهم معزولين بأسلوب مطرد عن عملية صنع السياسة. وفقا لجوزيف كرافت الذي نشر تفاصيل هذا الشقاق على صفحات النيويورك تايمز، فقد كانت تلك الاختلافات ناجمة عن الاختلافات بين الأجيال، وأيضا الاختلاف في التدريب الذي تلقوه. كان أعضاء المجموعة الأولى، بعامة وإن لم يكن دائما، أشخاصاً أصغر سنا عملوا بشئون

الشرق الأوسط بمحض الصدفة، أو من خلال تقييم براجماتى لفرصهم الوظيفية، وليس نتيجة لاهتمام أساسى بالشرق الأوسط فى حد ذاته. وحسب تعبير كرافت، اكتسب هؤلاء مهارات بيروقراطية أى أنهم كانوا يشعرون بتماهٍ أقل وأقل مع المنطقة، وبتماهٍ أكبر مع وظائفهم المحددة. أما كثير من أفراد المجموعة الثانية فقد كانوا قد كرسوا حياتهم المهنية الطويلة لشئون الشرق الأوسط ووجدوا البيئة الجافية بعد ١٩٦٧ تماثل بأسلوب مخيف مربك نهاية الأربعينيات حينما خسر المبشرون، والمستشرقون، ومتخصصو الحكومة القدامى معركتهم على فلسطين. سرعان ما وجد البعض أنفسهم يتدبرون أمر التخلى عن شئون الشرق الأوسط أو ترك العمل بالحكومة برمته. مثلا، طلب ريتشارد پاركر نقله من الشئون المصرية إلى الشئون المغربية حينما عيّن ريتشارد نيكسون عام ١٩٦٩ چوزيف سيسكو - المتخصص فى الشئون السوڤييتية والذى لم يسبق له العمل خارج واشنطون - ليحل محل پاركر هارت خبير الشرق الأوسط كمساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى. وفيما استمر آخرون مثل كرتيس إف. چونز (وريتشارد پاركر بعد تقاعده من العمل الحكومى) فى العمل على العلاقات الأمريكية/ شرق الأوسطية، إلا أنهم غدوا يجهرون بدرجات متزايدة بنقدهم لسياسة الولايات المتحدة. أصبح چونز، الذى وصفه كرافت بأسلوب يفتقد الدقة، بأنه «أحد أكثر الداعمين حماسا للجانب العربى فى نزاعه مع إسرائيل»، رئيسا لقسم الشرق الأدنى المنبثق عن مكتب الاستخبارات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية، لكنه سرعان ما تعرض لضغوط كى يترك شئون الشرق الأوسط بعد أن عبر علنا عن استيائه من السياسة الأمريكية. تقاعد بعد ذلك، لكنه وعلى مدى الأعوام الثلاثين التالية قام بنشر أعمال ينقد فيها سياسة الولايات المتحدة. كان ما نشره چونز عملا استبطانيا نافذ البصيرة عن «تعليم المستعرِب» أظهر فيه أسفه من «التطور التدريجى للفظ مُستعرب» من «اسم إلى نعت». رد چونز أيضا على كرافت الذى رأى أنه كان «على قدر من التعاطف مع جميع المستعربين باستثناء ثلاثة منهم»، ريتشارد پاركر

وروبرت مون، وشخصه [أي چونز]. أيضا، خَبر المُكوّن الأكاديمى عملية التصدع الأساسى التى نجمت عن حرب ١٩٦٧ وتوابعها. أدى الانتصار الإسرائيلى المذهل وما تلاه من احتلال إلى أن يسائل كثير من المتخصصين دورهم المهنى فى توفير السند الفكرى لبعض سياسات الولايات المتحدة الداعمة لإسرائيل بعامة على حساب الدول العربية والشعب الفلسطينى. وهكذا، دقّ الصراع العربى/ الإسرائيلى/ الفلسطينى إسفينا فى قلب مجال دراسات الشرق الأوسط بعد ١٩٦٧، حيث مضى كثير من الأفراد فى تقييم أعمال زملائهم على أساس تناغمها مع آرائهم السياسية الخاصة فى الصراع. غدا الاحتلال الإسرائيلى قضية حاسمة أجبر معها الأشخاص على الاصطفاف بين مؤيدين ومعارضين. عبر دون بريتز، أحد أعمدة الشبكة عن أسفه لهذا الوضع فى عمله الذى يسترجع فيه تفاصيل حياته المهنية حيث ذكر أن المشكلة كانت قد أضحت «أحد الأوجه الأكثر تسببا فى القلق فى مجال دراسات الشرق الأوسط.. بحيث إنه إذا ساور أحدهم الاعتقاد بأن الكاتب مفرط فى تأييده للعرب أو لإسرائيل يتم التقليل من قيمة عملها/ عمله، أو يُستبعد بغض النظر عن جدارته الأكاديمية». أسهم الدعم الهائل الذى كانت إسرائيل تتمتع به فى السياسة الأمريكية الداخلية فى تفاقم المشكلة، وأدى بمرور الوقت إلى محاولات لنزع الشرعية عن الأكاديميين المؤيدين للموقف الفلسطينى. علاوة على ذلك، كان يحتمل للأعضاء الأكاديميين فى الشبكة الذين كانوا يعارضون سياسة الولايات المتحدة أن يكونوا متأثرين بالمعارضة الأوسع لسياسة أمريكا الخارجية الناجمة عن تورطها فى ڤيتنام. ربط ليندون چونسون بوضوح بين الصراعين فيما كان يحاول انتزاع دعم إسرائيل لتدخل الولايات المتحدة فى ڤيتنام، مقابل دعم الولايات المتحدة لإسرائيل. كانت النتيجة الكلية هى التوتر المتزايد بين المتخصصين الأكاديميين الذين حافظوا على توجه سياسى فى أعمالهم وبين هؤلاء الذين سعوا للنأى بأنفسهم ومهنتهم عن تورط الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. وبحلول أواسط السبعينيات كانت تلك التوترات قد وصلت إلى ذروة الانفعال حيث

وصف المتخصصون في شئون الشرق الأوسط الأحدث سنًا أعمال من سبقوهم من المفكرين بأنها «آلة للإمبريالية لا مبحث علمي موضوعي. إنها وسيلة للتحكم في شعوب الشرق الأوسط لا آلية لتحرير تلك الشعوب من خلال العلم وفهم الذات».

وعلى مدى العقود الأربعة استمرت تلك الانقسامات داخل جماعة المتخصصين في الشرق الأوسط بل وتعاظمت أحيانا. كان «العقل العربي» لرافائيل پاتاي و«الاستشراق» لإدوارد سعيد اللذان نشرا في السبعينيات يرمزان إلى تلك الانقسامات بين الجانبين. حاول كتاب پاتاي وصف خصائص «الشخصية العربية المُتقلبة المشروطة بتغير الظروف، فيما كان كتاب سعيد عملا متوسعا ينقد فيه قرنين من التمثيلات البريطانية والفرنسية والأمريكية الأدبية والسياسية لـ «المشرق». كان لكل من الكتابين أثر واسع. وعلى الرغم من التنميطات والأوصاف المجحفة للعرب، غدا «العقل العربي» قراءة متطلبة لجيل كامل من ضباط الجيش والعاملين بالاستخبارات الذين كانوا يُعدّون للعمل بالشرق الأوسط. وفي المقابل، وضع «الاستشراق» الأساس الفكري لجيل من الأكاديميين الذين كانوا لا يستنكرون فقط محاولات إنتاج المعرفة من أجل ممارسة الدولة لسلطتها، بل الذين كانوا يسعون على أرض الواقع لتوجيه النقد لتلك الممارسة ذاتها. علاوة على ذلك، فقد استهل «الاستشراق» جدلا دام أكثر من عقدين حول إنتاج المعرفة وطبيعة تلك المعرفة ذاتها. من ثم، دخل سعيد في معارك فكرية وشخصية دامت طويلا مع أكاديميين من أمثال برنارد لويس وفؤاد عجمي اللذين استاء كلاهما من النقد الذي وجهه سعيد لتلك الظاهرة. أيضا، ذهب كل من لويس وعجمي في أعمال عديدة لهما بأنه كان ثمة ما هو متأصل في الشخصية الإسلامية والعربية الذي يتحتم معه الصراع مع الولايات المتحدة وغرب أوربا، ثم أصبح عجمي ولويس مستشارين غير رسميين لإدارة چورچ دبليو. بوش بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فيما ظلّ سعيد أحد أشرس ناقدي تلك الإدارة حتى وفاته في سبتمبر ٢٠٠٣.

وسّعت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الانقسامات بين المتخصصين الأكاديميين

obeikandl.com

بحيث تجاوزت تلك الموجودة بين عجمي ولويس من ناحية وسعيد من الناحية الأخرى. بل إنه حتى قبل ٩/١١، كان مارتن كرايمر، الأكاديمي الذى كان يعمل بمعهد واشنطون لسياسة الشرق الأوسط الموالى لإسرائيل دونما مواراة أو تحفظ، كان قد أكمل كتابه «الأبراج العاجية المقامة على الرمال: فشل دراسات الشرق الأوسط بأمريكا»، والذى كان يتضمن نقدا للنظام الأكاديمي برمته الذى كانت المعرفة عن الشرق الأوسط قد ظلّت تنتج من خلاله منذ أواخر الستينيات لعدم قدرته على التنبؤ بالاضطرابات الإقليمية الكبرى ولأن ذلك النظام كان قد غدا مُسيّسا بامتياز. اقترح أنه ينبغى حرمان البنية الكاملة لدراسات الشرق الأوسط من التمويل، والإطاحة بها وإعادة إنشائها بدءا من أسسها فأعلى. بالطبع، كانت تلك الآراء خلافية إلى حد كبير، وبخاصة بعد ٩/١١، وأدت إلى تحالف مجموعة متنوعة من الأكاديميين وغيرهم من المتخصصين فى مواجهة كرايمر وداعميه. كان صوت چون كول من أقوى الأصوات المعارضة لكرايمر، وأدى ذلك بكول إلى إنشاء موقع تدوين إلكترونى لسرد أحداث الشرق الأوسط فيما تقع والتعليق عليها وكذلك ما يحدث فى إطار العلاقات الأمريكية/ شرق الأوسطية. أضفى الحيوية على موقفى كرايمر وكول تناقض آرائهما الجذرى حول علاقات الولايات المتحدة الشرق أوسطية القائمة حيث كان موقف كرايمر داعما للحرب على العراق فيما كان موقف كول معارضا لتلك الحرب بحزم وصلابة. ومثلما حدث أثناء الصراع فى الدوائر الحكومية فى نهاية الستينيات، وصلت أنباء تلك المعارك الفكرية إلى النيويورك تايمز التى قامت بدورها بإعلام الجماهير العريضة عنها. وفيما أكتب هذا عام ٢٠١٠، فليس ثمة إشارة يعتد بها إلى أن التصدع الذى ظهر فى أواخر الستينيات سيجرى ترميمه فى المستقبل القريب.

فيما عملت التطورات الچيوسياسية الزخمة فى نهاية الستينيات ومطلع السبعينيات ومعها حدوث توترات خطيرة فى أوساط دراسات الشرق الأوسط الحكومية والأكاديمية معا، عملت على ظهور مرحلة جديدة فى إنتاج المعرفة عن

المنطقة، يجد المرء أنه ليس ثمة حاجة إلى التبصر العميق كى يدرك أن الأساليب المقدسة والدنيوية لتخيل الشرق الأوسط قد ظلت مستمرة فى مرحلة ما بعد ١٩٦٧، ثمة مثالان موجزان للبرهان على هذا. يتعلق الأول بدعم الولايات المتحدة لإسرائيل الذى غدا أكثر وضوحا وشيوعا على مدى العقود الأربعة الأخيرة. يتمثل الأسلوب الدنيوى لتخيل المنطقة فيما أوضحته مِلانى مكاليستر من أن أمريكيين كثيرين، فى فترة السبعينيات غدوا ينظرون لإسرائيل بصفتها «أيقونة فى جدل ما بعد ڤيتنام حول طبيعة قوة الولايات المتحدة وسطوتها العالمية» وذلك تأسيسا على نجاحات [إسرائيل] العسكرية. أما الأسلوب المقدس والمرتبط عن كثب بهذه النظرة إلى إسرائيل فإنه يتمثل بالرأى المترسخ لدى المسيحيين الإنجيليين والذى يرى دعم إسرائيل بصفته إلزاما دينياً. برهن المسيحيون الإنجيليون على دورهم الحاسم فى صعود الحزب الجمهورى على مدى العقود الثلاثة التالية لعام ١٩٦٧، وبصفتهم هذه فقد هيمنت آراؤهم بدرجة هائلة وبخاصة على مجموعة المحافظين الجدد البازغة فى الثمانينيات والتسعينيات.

أما المثال الثانى فيتعلق بالحرب على العراق التى بدأت فى عام ٢٠٠٣. فمنذ أن قرر الرئيس چورج إيتش. بوش عدم الإطاحة بنظام صدام حسين فى حرب عام ١٩٩١، ظل بعض المتخصصين وصناع السياسة والصحفيين والمفكرين السياسيين ينادون بـ «تغيير النظام» فى العراق، الأمر الذى أصبح سياسة رسمية أمريكية فى عام ١٩٩٨ بعد الموافقة على «مشروع قانون تحرير العراق». تصاعدت تلك الدعوات فى مطلع القرن الحادى والعشرين، وأصبحت مدوية بخاصة بعد ٩/ ١١ حينما رأى المحافظون الجدد فرصة سانحة لتجديد مهمة أمريكا المقدسة والدنيوية لتغيير وجه الشرق الأوسط. بيد أنهم فعلوا هذا هذه المرة من خلال استخدام القوة العسكرية. تحولت التبريرات من القضاء على أسلحة الدمار الشامل إلى مكافحة الإرهاب، ثم إلى نشر الديمقراطية واستخدام العراق نقطة مركزية يمكن أن ينبعث منها التحول إلى الخارج ليشمل جميع أنحاء المنطقة. ومن أجل

مزيد من توضيح الارتباط بين المقدس والدنيوى، ففيما تواصلت «عملية تحرير العراق»، كانت وزارة الدفاع بقيادة الوزير دونالد رمسفلد تستخدم إحالات ومجتزآت إنجيلية عناوين لبياناتها الاستخبارية اليومية [عن سير العملية] والتى كان يتم تداولها فى أوساط أعلى المستويات الحكومية، موحية بأن جيش الولايات المتحدة كان ينفذ مشيئة الرب ويقوم بالعمل نيابة عنه فى العراق.

وفيما أن الأمر يتطلب بحثا موسعا فى هذين المثالين لإثبات أطروحتنا، فإنهما يوضحان كيف أن تأويلات الحاضر وتخيلاته مستمرة فى الاستناد إلى إطار للمعنى مازال قائما رغم استمرار تطوره، ذلك الإطار الذى تم تحديده من خلال إنتاج المعرفة والرسالة الدنيوية والمقدسة. كان لذلك الإطار جذوره فى أولى اللقاءات بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط ومضى يتطور بعد ذلك حتى اكتمل شكله فى أذهان الأكاديميين ورجال الأعمال والمسئولين الحكوميين والصحفيين فيما زادت مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وتدخلها فى شئونه ما بين عامى ١٩١٨ و١٩٦٧. إن إطار المعنى التأسيسى هذا هو الذى ظلت تقوم عليه كل طبقات الفهم والتأويلات اللاحقة. ظل استناده إلى المعرفة والمهمة المقدسة والدنيوية، ومازال، قوة دافعة فى كيفية تخيل الأمريكيين للشرق الأوسط.

صدر من هذه

السلسلة

obeikandl.com

١ ـ محمد (ص)

٢ ـ صدام الحضارات

٣ ـ عصر الجينات

٤ ـ القدس

٥ ـ العولمة والعولمة المضادة

٦ ـ التاريخ السرى للموساد

٧ ـ من يخاف استنساخ الإنسان؟

٨ ـ حريم محمد على

٩ ـ عولمة الفقر

١٠ ـ صور حية من إيران

١١ ـ البحث عن العدل

١٢ ـ لورانس: ملك العرب غير المتوج

١٣ ـ الصهيونية تلتهم العرب

١٤ ـ معارك فى سبيل الإله

١٥ ـ التطبيع ومقاومة الغزوة الصهيونية

١٦ ـ التسوية: أى أرض.. أى سلام

١٧ ـ المكنز الكبير

١٨ ـ الحق يخاطب القوة

١٩ ـ نساء فى مواجهة نساء

٢٠ ـ مؤامرة الغرب الكبرى

٢١ ـ روسيا.. إلى أين

٢٢- موسوعة الأم والطفل

٢٣- الخدعة الرهيبة

٢٤- نهاية الإنسان

٢٥- خدعة التكنولوجيا

٢٦- ٣٦٥ حتوتة وحتوتة

٢٧- بوش ضد العراق ... لماذا؟

٢٨- أين الخطأ ؟

٢٩- اللولب المزدوج

٣٠- رجال بيض أغبياء

٣١- سادة العالم الجدد

٣٢- الخطيئة الأولى لإسرائيل

٣٣- اللعب مع الصغار

٣٤- الإبادة السياسية

٣٥ - حكومة العالم السرية

٣٦ - ما بعد الإمبراطورية

٣٧ - بوش في بابل

٣٨ - المقاومة العراقية.. ومستقبل النظام الدولى

٣٩ – تزييف الوعى
٤٠– القانون فى خدمة من ؟
٤١ ـ كفى
٤٢ – معنى هذا كله
٤٣– حياة بلا روابط
٤٤ – ٣٦٥ حدوتة وحدوتة
٤٥– أنا والعولمة .. عالم بديل ممكن..
٤٦– جسدى سلاحاً
٤٧– ثالوث الشر
٤٨– الحضارة الإسلامية المسيحية
٤٩– أمــــريكا العظمى.. أحـــزان الإمبراطورية
٥٠– الطُّريقُ إلى السُّوبَرْمَان
٥١– مدربون على القتــل
٥٢– معاداة السامية الجديدة
٥٣– إبادة العالم الثالث
٥٤– بيولوجيا الخوف
٥٥– لغز اسمه الألم
٥٦– تعليم بلا دموع
٥٧– أحمد مستجير
٥٨–العين بالعين
٥٩– شاڤيز
٦٠– قصص الأشباح
٦١– حزب الله
٦٢– الإنسان هو الحل
٦٣– السيارات المفخخة
٦٤– بلاكووتر
٦٥– حضارتهم وخلاصنا
٦٦– نحو الحرية.. نلسون منديلا
٦٧– العهد
٦٨– مزرعة الحيوانات
٦٩– أطفال الإنترنت
٧٠– لعبة الملايين
٧١– تجارة الجنس
٧٢– الأمريكى الساذج
٧٣– الأبرياء
٧٤– الشباب والجنس
٧٥ – التربية من عام إلي عشرين عام
٧٦– فلورانس وإداورد

obeikandi.com

٧٧- الجهاد في سبيل الحقيقة

٧٨- غاندي (٢)، رؤي، تأملات، اعترافات

٧٩- شرف البنت

٨٠- الزواج المحرم

٨١- أنبياء مزيفون

٨٢- إمبراطورية العار

٨٣- اختطاف أمريكا

٨٤- شريعة الجستابو

٨٥- رومانسية العلم

٨٦- اختفاء فلسطين

٨٧- من هم إسرائيل

٨٨- ثلاثون كتاب في كتاب

٨٩- اقتصاد الاحتيال البرىء

٩٠- الله.. لماذا؟

٩١- الأمراض المعدية

٩٢- الطريق إلي بئر سبع

٩٣- مجمع الشيطان

٩٤- في ذكرى المقاومة

٩٥- خطايا تحرير المرأة

٩٦- دساتير من ورق؟

٩٧- صُناع الملوك

٩٨- صناعة الأكاذيب

٩٩- عندما تحكم الصين العالم

١٠١- الحركة العامة للاقتصاد المصرى في نصف قرن

١٠٢ - رحلة السندباد

١٠٣- وجه أوباما الأبيض

١٠٤- تشي جيفارا سيرة للنشء

١٠٥- أنا أقترض.. أنا موجود

١٠٦- قصة فيس بوك

١٠٧- غواية الرجال

١٠٨ - تأثير إيران ونفوذها في المنطقة

obeikandi.com